جدال فيها. وينبغي ألاّ نستهين، بالطبع، بحجم، وفاعلية، اللوبي الصهيوني وتأثيراته المختلفة في صناعة القرارات الاميركية المتعلّقة بالسياسات الاميركية في المنطقة العربية. وهناك شواهد كثيرة على قوة هذا النفوذ. وقد تحدّث مسؤولون بارزون عن قوة هذا النفوذ، وأبدوا، في بعض الاحيان، انزعاجهم من الضغوط التي يمارسها اللوبي الصهيوني على الادارات الاميركية. نذكر، هنا، على سبيل المثال، كلمة رئيس أركان القوات المسلّحة الاميركية الأسبق، جورج براون، الشهيرة، في العام ١٩٧٤، التي ألقاها بحضور طلاب جامعة يورك، وجاء فيها: «ان اليهود واسرائيل يمارسون نفوذاً ضاغطاً في الولايات المتحدة الاميركية. وهم قادرون على ذلك، لأن اليهود في الولايات المتحدة الاميركية يسيطرون على مصادر الاعلام»[٢]. وحذّر براون من النتائج غير المرغوب فيها التي يمكن ان تنشأ عن مثل هذا الوضع.

وفي حينه، أثارت تصريحات الجنرال براون حفيظة اللوبي الصهيوني، الذي راح يهاجمه بشدة. واضطر الجنرال الاميركي البارز، بعد فترة قصيرة، بناء على طلب وزير الدفاع، الى الاعتذار. ولعلّ الاعتذار في حدّ ذاته كان دليلاً آخر على مدى قوة هذا النفوذ.

من أجل ان نفهم حقيقة هذا النفوذ الصهيوني، الذي يبدو أشبه بالاسطورة، لا بدّ من ان نستقرىء خلفيته وعناصره. وعندما نقوم بعملية الاستقراء العلمي هذه سوف نكتشف، ببساطة، ان قوة هذا النفوذ لا تعود الى قوة يهود الولايات المتحدة الاميركية الصهيونيين، بقدر ما تعود، ربما بدرجة أكبر بكثير، الى «الصهيونية المسيحية». ولتوضيح ذلك نقول ان هناك ما يزيد على ٢٥٠ جمعية صهيونية مسيحية، يعود تاريخ تأسيس بعضها الى نهاية القرن الماضي (أول جماعة ضغط صهيونية لدعم انشاء كيان صهيوني في فلسطين أسّسها كنسيّون اميركيون في العام ١٨٧٨ بزعامة القس وليام بلاكستون). ذلك ان التعاطف مع المسألة اليهودية كان ملازماً للثقافة الغربية منذ أوائل القرن الماضي، على نحو ما رأينا في اوروبا. وهناك بعض الطوائف المسيحية «المعمدانية» تؤمن بأن عودة المسيح مرهونة باقامة دولة اسرائيل. ويرى بعض المحللين السياسيين ان كلاً من الرئيسين الاميركيين الاسبقين، هاري ترومان وجيمي كارتر، كان متأثراً، في تعاطفه مع اسرائيل، بخلفيته الدينية المعمدانية.

على ان الجانب الاقوى في هذه «الصهيونية المسيحية» هو جانب ذلك التيار النافذ الموجود داخل الكونغرس الاميركي وداخل الحزبين، الجمهوري والديمقراطي، وداخل عدد من المؤسسات الفاعلة والمهيمنة على صناعة القرار السياسي. وهذا التيار، ومن منطلق معاداة الشيوعية، ومنطلق فهمه لمصالح الولايات المتحدة الاميركية الكونية، يؤمن بأن اسرائيل حليف استراتيجي رئيس لاميركا وضرورة استراتيجية. هذه «الصهيونية المسيحية» في اميركا هي «الحاضن» الأساس للنفوذ الصهيوني اليهودي؛ وهي التي تشجّعه وتدعمه وتغذّيه؛ بل هي التي تعمل على ان يبدو وكأنه شيء لا يُقاوم.

ولقد اعترف أحد مسؤولي «لجنة الشؤون العامة الاميركية ـ الاسرائيلية» (ايباك)، كبرى جماعات الضغط الصهيونية وأكثرها فعالية ونفوذاً داخل الولايات المتحدة الاميركية، بهذه الحقيقة بصراحة وبساطة تدعو الى الدهشة، حين قال: «لا تكمن قوتنا في كوننا نتمتع بتنظيم عال، ولكن في كون الكثيرين من الناس ملتزمين باسرائيل. ولدينا الكثير من الدعم غير اليهودي لاسرائيل. وأنا سعيد لأنه ليس علينا ان نعتمد على اليهود فقط؛ لأننا لو فعلنا ذلك لأصبحنا جسماً غير فاعل»[٣].

لعلّه يتضح لنا، الآن، لماذا يقف اميركيون غير يهود داخل الكونغرس، أو خارجه، مدافعين،